﴿* وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾ [هود: 84]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مُعاناةُ الأنْبياءِ مَعَ أقْوامِهِمْ، وعِقابُ الاسْتِئْصالِ جَزاءُ عِنادِهِمْ

لمّا ذَكر الله تعالى قصَّةَ لوطٍ ﷺ مع قَومه، وكيف عانى معهم غيْرَ وانٍ لرَغبةٍ ولا رَهْبة، حتّى انتهت القِصَّة بذِكْر ما حلّ بهم من عذاب استئصال، أُتبِعت قصَّتُه بأقرَبِ القصص الشَّهيرة إليها في الزَّمَن[1]، المُشاكِلَةِ لها في الجهْد الَّذي قام به كِلا النَّبيَّين الكريمَين، وفي الإعراض للنُّصح من قَومهما، وفي عذاب الاستئصال الَّذي حلّ بكلٍّ منهما، فقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَدۡيَنَ﴾: اسمٌ أعْجَميٌّ، كجَعْفَر، وإن اشْتَقَقْتَه من العَربيَّة فالياءُ زائِدَةٌ، وقد يَكونُ مَفْعَلاً وهو أظهَرُ. ومَدْيَنُ - كما قيل - أُمَّةٌ سُمِّيَتْ باسْم جَدِّها مَدْيَن بن إبراهيمَ الخليلِ ﷺ، من زَوجه الثّالثة الَّتي تزوَّجها في آخر عُمُرِه، والنِّسبةُ إليها مَدْيَنيٌّ. ومَواطنُهم بَيْنَ الحِجازِ وخَليجِ العَقَبَةِ بقُربِ ساحِلِ البَحرِ الأحْمرِ، وقاعدةُ بلادِهم (وجّ) على البحرِ الأحمرِ وتنتهي أرضُهُم منَ الشَّمالِ إلى حُدُودِ مَعانٍ من بلادِ الشّام، وإلى نَحْوِ تَبوكَ منَ الحِجازِ، وتُسمَّى بلادُهم: (الأيْكَةَ)[2]، وقيل: الأيْكة قَومٌ آخَرون غيْر أهْلِ مَدْيَن، أُرْسِلَ إليهم شُعيْبٌ ﷺ[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/350.

(2) الحمويّ، معجم البلدان: 5/77، والزَّبيديّ، تاج العروس: (مدن)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/239.

(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 24/528.

2) ﴿أَخَاهُمْ﴾: أصْلُ (أخ): أخَو، وهو: المُشارِكُ آخَرَ في الوِلادَةِ منَ الطَّرَفَيْن، أوْ منْ أحَدِهما أوْ منَ الرَّضاعِ. ويُستَعارُ في كلِّ مُشارِكٍ لِغَيْرِهِ في القَبيلَةِ، أوْ في الدِّينِ، أوْ في صَنْعَةٍ، أوْ في مُعامَلَةٍ أوْ في مَودَّةٍ، وفي غَيْرِ ذلك منَ المُناسَباتِ. والأُخُوَّةُ إذا كانَتْ في غَيْرِ الوِلادَةِ كانَتْ لِلمُشاكَلَةِ والاجْتِماعِ في الفِعْلِ، نَحْو: هذا الثَّوبُ أخو هذا، وقَوْلُه تعالى: ﴿كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الإسراء: 27]، أيْ: مُشاكِلوهُمْ[1]. والمُرادُ بِالأخِ في الآيةِ: المُشارِكُ في نَسَبِ القَبيلَةِ.

3) ﴿شُعَيْبًاۚ﴾: شُعَيْبٌ عليه السلام هو رَسُولٌ لأهلِ مَدْيَنَ، وهو منْ أنْفُسِهِم، اسمُهُ في العَرَبيَّة شُعَيْبٌ عليه السلام واسمُهُ – على ما قيلَ –: شُعَيْبُ يَثْرونُ بْنُ صَيْفُونَ بنِ عُنْقا بنِ ثابِتِ بنِ مَدْيَنَ بنِ إبراهِيمَ، وقيلَ: هو شُعَيْبُ بْنُ ميكيلَ منْ ولَدِ مَدْيَنَ، وقيلَ: لَم يَكُنْ شُعَيْبٌ منْ ولَدِ إبراهيمَ، وإنَّما هو ولَدُ بعضِ مَنْ آمَنَ بإبراهيمَ وهاجَرَ معه إلى الشّام، ولكنَّهُ ابنُ بِنْتِ لُوطٍ عليه السلام، فَجَدَّةُ شُعَيبٍ ابْنَةُ لُوطٍ، وكانَ ضَريرَ البَصَرِ، وقيلَ: هو مَعْنى قَوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ﴾ [هود: 91]، أيْ ضَريرَ البَصَرِ. قالَ الصّاغانيُّ: وهو اسْمٌ عَرَبيٌّ يُمكنُ أنْ يَكونَ تَصْغيرَ شَعْب أو أشْعَب، كَما قالوا في تَصْغيرِ أسْود سُوَيْد، وهو تَصْغيرُ التَّرْخيم[2].

4) ﴿وَلَا تَنقُصُواْ﴾: أصْلُ (نقص): كلِمَةٌ واحِدَةٌ، هي النَّقْصُ: خِلافُ الزِّيادَةِ، ونَقَصَ الشَّيْءُ، ونَقَصْتُهُ أنا، وهو مَنْقُوصٌ، والنَّقْصُ أيضًا: الخُسْرانُ في الحَظِّ، والنُّقْصانُ المَصْدَرُ، والنَّقيصَةُ: العَيْبُ؛ يُقالُ: ما بِهِ نَقيصَةٌ، أيْ: شَيْءٌ يَنْقُصُ. ومَرجِعُ البابِ كُلِّه إلى هذا[3]. والمَقْصودُ بِالنَّقْصِ في الآيَةِ: إزالَةُ بَعْضِ الشَّيْءِ.

5) ﴿ٱلْمِكْيَالَ﴾: أصْلُ الكَيْلِ: ضَبْطُ الشَّيْءِ وإمْساكُهُ[4]؛ وسُمِّيَ المِكْيالُ بِذلكَ؛ لأنَّهُ يَضْبِطُ الحَبَّ ونَحْوَهُ. والكَيْلُ: تَحْديدُ قَدْرِ الشَّيْءِ وقياسُهُ، والجَمْعُ: أكْيالٌ، والمِكْيالُ: آلَةُ الكَيْلِ تَكونُ منْ خَشَبٍ أوْ حَديدٍ أوْ غَيْرِهِ كالصّاعِ ونَحْوِهِ[5]، يُقالُ: كالَ الطَّعامَ يَكيلُ كَيْلاً إذا حَدَّدَ مِقْدارَهُ. ويَأتي الكَيْلُ بِمَعْنى: الإعْطاءِ، وكِلْتُ فُلانًا: أعْطَيْتُهُ، واكْتَلْتُ عَلَيْهِ: أخَذْتُ

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (أخ).
(2) ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: 1/138، والزَّبيديّ، تاج العروس: (شعب)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/240.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نقص).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كيل).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (كيل).

منْهُ، والاسْمُ: الكِيلَةُ، والكَيّالُ: صاحِبُ حِرْفَةِ الكَيْلِ[1]. والمَقْصودُ بالمِكْيالِ في الآيَةِ: ما يُكالُ بِهِ بالكَيْلِ[2].

6) ﴿وَٱلۡمِيزَانَۖ﴾: أصْلُ الميزانِ موْزانٌ، فانْقَلَبَتِ الواوُ ياءً لِكسْرَةِ ما قَبْلَها، ويَأْتي في اللُّغَةِ بِمَعْنى العَدْلِ والكِتابِ والمِقْدارِ، والجَمْعُ: مَوازينُ. والميزانُ: الآلَةُ الَّتي تُوزَنُ بها الأشْياءُ، يُقالُ: وزَنْتُ الشَّيْءَ، أزِنُهُ، وزْنًا، أيْ: قَدَّرْتُهُ بواسِطَةِ الميزانِ. والوزْنُ: ثَقْلُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ مِثْلِهِ كَأوْزانِ الدَّراهِمِ[3]. والمَقْصودُ بالميزانِ في الآيَةِ: اسْمُ آلَةِ الوزْنِ.

7) ﴿مُّحِيطِۢ﴾: أصْلُ (حيط): يَدُلُّ عَلى شَيْءٍ يُطيفُ بِالشَّيْءِ[4]. ومِنْهُ الحائِطُ: الجِدارُ الَّذي يَحوطُ بِالمَكانِ، والإحاطَةُ تُقالُ عَلى وجْهَيْنِ: أحَدهما: في الأجْسامِ، نَحْو: أحَطْتُ بِمَكانِ كَذا، أوْ تُسْتَعْمَلُ في الحِفْظِ، نَحْو: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ [فُصّلت: 54]، وتُسْتَعْمَل في المَنْعِ، نَحْو: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ [يوسف: 66][5]. والإحاطَةُ بالشَّيْءِ: الكَوْنُ حَوْلَهُ كالحائِطِ، ويُكَنّى بِها عَنِ التَّمَكُّنِ منَ الشَّيْءِ بِحَيْثُ لا يَفوتُ منْهُ[6]. والثّاني: في العِلْمِ، نَحْو قوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطّلاق: 12][7]. والمَقْصودُ بِالإحاطَةِ في الآيَةِ: الاشْتِمالُ عَلى الشَّيْءِ وجَعْلِه في حَوْزَةِ المُحيطِ.

المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبرُ اللّهُ تعالى أنَّه أرسلَ إلى مَدْينَ أخاهم في النَّسَبِ شُعَيبًا، فقال مُبتدئًا بما لا يجوز الابتداءُ بغيْرِه وهو الدَّعوة إلى التَّوحيد: يا قَوم اعبُدوا اللّه وحدَه، ليس لكم من إلهٍ يستحِقُّ العبادةَ غيْرُه

التَّدَرُّجُ من أساليبِ الحِكْمَةِ في تَهْيِئَةِ النُّفوسِ بِقَبولِ الإرْشادِ والكَمالِ

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (كيل).
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/127.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (وزن).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حوط).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (حيط).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/171.
(7) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (حيط).

ﷻ، فأخلِصوا له العِبادةَ، ثُمَّ ثَنّى بالنَّهْيِ عن أقْبَحِ الصِّفات وأذَمِّ الخِلالِ والأخلاقِ الَّتي تَخَلَّقوا بها وهي التَّطْفيف في الكَيْل والوزْن فقال: ولا تنقُصوا النّاسَ حُقوقَهم في مَكاييلِهم ومَوازينِهم، إنِّي أراكُم في سَعةٍ من الرِّزقِ، وكثرَةِ نِعَم، وخَيرٍ في معيشتِكم، فاشكُروا اللّه على ذلك، وإنِّي أخافُ عليكم - بسببِ شِرككم، وبَخسِكم حقوقَ النّاسِ - أنْ يَنزِلَ بكم عذابُ يومٍ يُحيطُ بِكُم، فلا يُفلِتُ منه أحَدٌ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالَةُ الواوِ في: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾:

الواو هُنا عاطِفَةٌ، عَطْف جُمْلةٍ على جُملة، أو قِصَّةٍ على قِصَّة، أيْ: على قولِه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: 61] أيْ: وأرْسَلنا ﴿*وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾.

دلالَةُ تَقْديمِ المَجْرورِ عَلى المَفْعولِ:

تَقْديمُ المَجْرورِ عَلى المَفْعولِ لِيَعودَ الضَّميرُ عَلَيْهِ

الجارُّ والمَجرور ﴿*وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ مُتعلّقان بمَحْذوفٍ تقديرُه (أرْسَلنا)، وتَقديمُ المَجرور في قولِه: ﴿*وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ مُتَّسِقٌ مع ما مضى في القِصَّتَين السّابِقَتَين في قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: 50] وقولِه: ﴿*وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: 61]. وسَببُ تَقديمه في جميعها "لِيَعود الضَّمير عليه"[2].

لكنَّ ابن عاشور قد أخَذ من هذا التَّقديم دليلًا على ترجيح كَون العَطْفِ هُنا من باب عَطْف المُفردات لا من عطْف الجُمَل[3].

والقَول بأنَّه من باب عَطْف الجُمل وأنّ مُتعلّقَ الجارِّ والمَجرور

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/539، والواحديّ، التّفسير البسيط: 11/520، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/85، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/342، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 387.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/278.

(3) ذكره ابن عاشور في التّحرير والتّنوير: 12/94، عند تفسيره لقولِه تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: 50].

مَحْذوفٌ تَقديره (أرْسلنا) أرْجَحُ؛ حتّى لا يَطولَ الفَصْل بيْن المَعْطوفات بالجُمَل الكثيرة[1] لَو قُلنا إنَّه من عطْف المفردات، أيْ عطْف المَجرورِ على المَجرور، أيْ: عَطْف ﴿مَدْيَنَ﴾ على ﴿ثَمُودَ﴾ [هود: 61]، والمَنصوبِ على المَنصوب أيْ: عطْف ﴿شُعَيْبًا﴾ على ﴿صَٰلِحًا﴾ [هود: 61].

وفي تَقديم شِبْهِ الجُملة تشْويقٌ لِما يأتي بَعدَه من ذِكر شُعَيْب عليه السلام، أمّا تقديمُ ذِكر القَوم قبْلَ نبيّهم فلأنّ مدارَ السّورة قائمٌ على بيانِ أحوال الأقْوام السّابقةِ مع أنبيائهم لمّا تَعَجّلوا العذاب، كقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: 50] وقولِه: ﴿* وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: 61].

سِرُّ تقدير الفعل النّاصب، وحذفه:

حـذفُ النـاصِبِ إيجازًا لِلعِلْمِ بِهِ

قُدّرَ الفِعْل (أرسلنا) الناصِب لقَوله: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ للإيجاز، للعِلْم به ممّا سَبَق، أيْ في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [هود: 25] ثُمَّ تَقْديره في قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: 50] وقولِه: ﴿* وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: 61][2] ومَعروف أنَّ عَطْف النَّسَق يَكون على نيَّة تَكرارِ العامل[3].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالأُخوَّةِ في: ﴿أَخَاهُمْ﴾:

النَّصُّ عَلى كَوْنِ شُعَيْبٍ عليه السلام مِنْ أهْلِ مَدْيَنَ خِلافًا لِمَنْ زَعَمَ غَيْرَ هذا

عبَّر بالأخوَّة في قوله: ﴿أَخَاهُمْ﴾ أيْ: أخاهُم في النَّسَب[4]؛ لكَوْنه منهم، أيْ: من قبيلة مَدْين. وهذا ما يَترجَّح لكَوْنه الظّاهر من لفْظ ﴿أَخَاهُمْ﴾ ومن ندائه لهم بـ ﴿يَٰقَوْمِ﴾. وكان شُعَيْب عليه السلام قد أُرْسِل أيضًا إلى أصحابِ الأيْكَة، ولَم يَكُن بَيْنَه وبَيْنهم نَسَبٌ، ولهذا لمّا تَعرّض لِذِكْرهم في سورة الشُّعراء في قوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء: 176 - 177] لَم يَقُل:

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/278، والخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 6/92.
(2) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 5/358.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3738.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/313.

(أخوهُم)[1] كما قيلَتْ في أهْلِ مَدْين، وعلى كلِّ الأحوال فإنّ في ذِكر الأخوَّةِ ما يُشير إلى حِرْصه عليهم، وعلى إيمانهم لأنّه واحدٌ منهم، وهذا أدْعى إلى إجابَتِهم إيّاهُ.

دلالَةُ الإضافَةِ في: ﴿أَخَاهُمْ﴾:

الأُخــوَّةُ مَدْعاةٌ إلى تَمْحيضِ النُّصْحِ وعَدَمِ الارْتيابِ

الإضافةُ هُنا للتَّعريف، وكأنَّه يُذَكِّرُهم بأنَّ شُعَيْبًا أخوهم الَّذي يَعرفونه فلا يَنْفِروا منه، بل عليهم أنْ يُعينوهُ وأنْ يَكونوا له عَضُدًا في دَعْوته، إضافةً إلى أنّ في إضافتِه إليْهِم ما يُشعِر بحِرْصه عليهم.

دلالَةُ الحَذْفِ:

دلالــة حَــذْفُ المُـضـافِ عَـلى الإيجازِ والمَجازِ

في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ هُناك مُضافٌ مَحْذوف، تقديره: أصحابُ مَدْين، أوْ أهْلُ مَدْين[2]، كما قال سبحانه في مَوْضع آخَر: ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾ [الحج: 44] وقوله: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [طه: 40]؛ لأنَّهم ذَكَروا أنَّ ﴿مَدْيَنَ﴾ هو اسْمٌ لِمَدينةٍ نُسِبتْ إلى عَلَمٍ اسْمُه مَدْيَن، وهم من نَسْلِه، ولذا قد يُقدَّر: أوْلاد مَدْين[3] والتَّقدير بأصحاب أو أهْل أوْلى لِوُرودِه كذلك مُصرَّحًا به في القُرآن. وعلى هذا ففيه إيجازٌ ومَجاز بالحَذْف، كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82] أي: اسألْ أهْلَها[4].

سِرُّ التَّصْريحِ بِاسْمِ النَّبيِّ ﴿شُعَيْبًا﴾:

التَّصْريحُ بِاسْمِ شُـعَـيْـبٍ عليه السلام مَدْحٌ وتَشْريفٌ

السِّرُّ في التَّصريح بِاسْم شُعَيْب عليه السلام؛ الاتِّساقُ مع ما مَضى في نُظَرائه في السورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [هود: 25] وقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: 50] وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: 61]، وفي التَّصريح بالأسْماء في جميعِها فَضلًا عن

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 24/528.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 18/384.
(3) الشّهاب الخفاجيّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 5/123.
(4) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 4/679.

التَّعريف بها، بيانٌ لِشَرَف أصحابها وفَضْلهم في قيامهم بِواجِبِهم تُجاهَ الرِّسالة والدَّعوة، فالتَّصريحُ هُنا للتَّشريف.

وعليه فهو عَطْفُ بَيان لـ ﴿أَخَاهُمْ﴾ مَقصودٌ به المَدْحُ وليس الإيضاح؛ لكَوْنه مَعروفًا لا مُبْهَمًا، كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: 97] فقَوله: ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: 97] "عَطْف بَيان على جِهَة المَدح، لا على جِهةِ التَّوضيحِ"[1]، ويَجوز إعرابُه بَدَلًا من ﴿أَخَاهُمْ﴾.

سِرُّ تَقْديم ﴿أَخَاهُمْ﴾ عَلى ﴿شُعَيْبًا﴾:

التَّقْديمُ لِغَرَضِ التَّأْنيسِ والتَّأْليفِ

قدّمَ ﴿أَخَاهُمْ﴾ على ﴿شُعَيْبًا﴾ تَأْنيسًا لهم وتأْليفًا، أيْ: هو أخوهم ومنهم، فَلَن يَدلَّهم إلّا على ما يَنْفعهم، لا ما يَضُرُّهم.

سِرُّ الفَصْلِ في: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾:

بَلاغَةُ شِبْهِ كَمالِ الاتِّصالِ

يَعودُ سَبَب الفَصْل في قوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ إلى كَوْنه اسْتِئنافًا بَيانيًّا، قُصدَ به الجوابُ عن سؤالٍ مُقدَّر "نشَأ عن صَدْر الكلام، فكأنَّه قيل: فماذا قال لهُم؟ فقيل: قال كما قال مَنْ قبلَهُ من الرُّسل ﷺ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾[2].

سِرُّ حَذْفِ الفاءِ في: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾:

لَمّا فَصَلَ مُسْتَأْنفًا اسْتَغْنى عَنِ الفاءِ

مرَّ في الفِقرة السّابقة أنّ سرَّ الفَصْل وعدم العطف أو الاستئناف بالفاء هو كَوْنه اسْتئنافًا بيانيًّا، وأمّا في آية العَنكبوت: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [العنكبوت: 36] فليس كذلك؛ لأنَّه في مَقام الإخبار، فعطفَ فيه جُمْلة القَولِ على جُمْلة مُقدَّرَةٍ، أيْ: أرْسلناه فعَقَّبَ إرْسالَهُ بأنْ ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [العنكبوت: 36][3].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/681.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/231.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/247.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالقَوْلِ:

دَلَّ التَّعْبيرُ بِالقَوْلِ عَلى وُجودِ حِوارٍ بَيْنَهُ ﷺ وبَيْنَ قَوْمِهِ

التَّعبير بالقَوْل في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾ يدلُّ على أنَّه أقام بَيْنَه وبَيْنهم حوارًا؛ لأجْلِ إقناعِهم بالتَّوحيد الَّذي أُرْسِل لأجْلِه، ثُمَّ لِدَعْوتهم إلى نَبْذ ما أَلِفوه واعتادوه من التَّطْفيف في الكَيْل والميزانِ.

بَلاغَةُ النِّداءِ في: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾:

لَمْ يَتَوانَ شُعَيْبٌ ﷺ في حَثِّ قَوْمِهِ عَلى الإيمانِ

في التَّعبير بأداةِ النِّداء دلالةٌ على أنَّه كان يَطْلُبهم في كلِّ مَكان كانوا فيه مَهْما كان بَعيدًا، حِرْصًا منه على إيمانِهم ونَبْذِ ما قَبُحَ من عاداتهم.

سِرُّ اخْتيارِ التَّعْبيرِ بالقَوْمِ:

النِّداءُ بِالقَوْمِ إشْفاقًا واسْتِعْطافًا

التَّعبير بالقَوم في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ دونَ غيْرِهِ كأنْ يَقول: (يا أيُّها النّاس) ونَحْوه، إنّما هو لإبْداء حِرْصه وشَفَقتِه عليهم، ولِتَأْليف قلوبِهم واسْتِمالَتِها نَحْو سَماعِ دَعْوته، الَّتي ما قصدَ منها إلّا إنْقاذهم من ويْلات الكُفْر وسوءِ الأخلاق والعاداتِ.

سِرُّ اخْتِلافِ أُسْلوبِ النِّداءِ:

النِّداءُ بِـ (يا قوم) أخَصُّ

الفَرْق بَيْن النِّداء هُنا بـ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ عن النِّداء بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [مثلاً: البقرة: 21] أنّ النِّداء بها أخَصُّ؛ لأنَّ القَومَ أخَصُّ من النّاس، وهو أوْفق لمَقام الدَّعوة هُنا؛ لكَوْنها دَعْوة خاصَّةً بهم دون غيرهم، ولأنَّ نداءَهم بـ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ أجْذَبُ لِما فيه من دلالةٍ على الإشْفاق والحِرْص المُؤَكّدِ على مَصْلحتهم.

دلالَةُ الأمْرِ في: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾:

الأمْرُ بِالعِبادَةِ لِلوُجوبِ

الأمْرُ هُنا يَدلّ على الوجوب، فهُم مَأْمورون وُجوبًا بِعبادَة ربِّهم الَّذي خلقهم ورزقهم، وما لهُم غيْرُه من إلَهٍ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالعِبادَةِ عَنِ التَّوْحيدِ:

العِبادَةُ مِنْ لَوازِمِ التَّوْحيدِ وعِلَّةٌ لَهُ

عبّرَ بالعبادة عن التَّوْحيد فقال: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾؛ لأنَّ العبادة من لَوازِم التَّوْحيدِ، والأمْرُ بها كالأمْرِ به، من حيْثُ كَوْنُها مُتَوقِّفَةً عليه،

وأثَرًا من آثارِه، فلا عبادة للّه بمَعْزِل عن تَوْحيدِه. أو كما عبَّرَ الرّازيُّ بأنّ التّوْحيد علّةٌ للأمْرِ بالعبادة، ومن ثَمَّ وجَبَت عبادةُ اللّه، لأجْلِ العِلْم بأنَّه لا إلَهَ إلّا اللّهُ[1] أيْ أنّ العبادة تَسْتلزِم التّوْحيدَ[2].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالأُلوهيَّةِ ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾:

عبَّر بالأُلوهيَّةِ ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ دونَ الرُّبوبيَّة (اعْبدوا ربَّكم) لكَوْن العبادة وسائرِ التَّكاليفِ هيَ من خصائص الأُلوهيَّة، لا الرُّبوبيَّةِ الَّتي من خصائصها الخَلْقُ والرِّعايَة والإنعامُ، فضلًا عن أنّ التّعبير بلَفْظ الأُلوهيّة أدْعى لِلمَهابَة وهو الأَلْيَقُ بالمَقام هُنا.

العِبادَةُ والتَّكاليفُ هيَ من خَصائصِ الأُلوهيَّةِ

دلالَةُ تَرْكِ العَطْفِ في: ﴿مَا لَكُم﴾:

بَيْن جُملة ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وجملَة ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ كَمالُ اتِّصالٍ؛ لأنّ الثّانية عِلّةٌ للأولى[3] كما أنّها مُبَيِّنَةٌ ومُنَبِّهَة على اختصاص اللّه تعالى بالعبادة ورَفْضِ ما سِواهُ، فكانت بذلك في غايةِ الاتِّصال[4].

كَمالُ الاتِّصالِ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ

ويُمْكِن أنْ يَكون الفَصْل لشِبْهِ كَمالِ الاتِّصال جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ: لماذا نَعْبد اللّه؟

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ عَنِ التَّوْحيدِ في الدّعْوة:

تَكرَّرت على لِسان عدد من الأنبياء في سورَتَي الأعْراف وهود هذه العِبارَة: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ فهُمْ جميعًا أُرْسِلوا بِدَعْوة التّوْحيد، وتَوْحيد العِبارَة مع تباعُد الأزْمان دليلٌ على صِدْقهم وأنَّهم جميعًا رُسلُ اللّه، وأنّ مَقْصِدهم واحدٌ. "فلَقَد اتَّفقت - كما تَرى - كلمَتُهم واتَّحدتْ إلى اللّه وحْدَه دَعْوتُهم، وهذا وحْدَه قَطْعيٌّ الدلالة على صِدْق كلٍّ منهم، لِما عُلِم قَطْعًا من تباعُد

تَوْحيدُ العِبارَةِ عَلى لِسانِ الأنْبياءِ مَعَ تَباعُدِ الأزْمانِ دَليلٌ عَلى صِدْقِهِمْ وأنَّهُمْ جَميعًا رُسُلُ اللّه

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/295.
(2) الشّهاب الخفاجيّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 5/123.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/295، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/231.
(4) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 5/355، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/278.

عُصورهم، وتَنائي ديارِهم وأنَّ بَعضَهم لَم يُلِمّ بِالعُلوم، ولا عَرَف أخبارَ النّاس إلّا من الحَيِّ القَيّوم"[1].

دلالَةُ حرف الجرّ في: ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾:

لا إلَـهَ مَـعَ الله أبَدًا

﴿مِّنْ﴾ دالَّة على الاسْتِغراق، أيْ تَنْفي أنْ يَكون مع الله أيُّ إلَهٍ، نَفْيًا عامًّا مُسْتغرقًا. فهذه دلالَةُ (من) عندما تَدْخل على النَّكِرة[2].

سِرُّ التَّعْبير بـ ﴿إِلَٰهٍ﴾:

التَّعْبيرُ بـ (إله) دونَ (ربّ) أوْفَقُ لِلسّياقِ

سِرُّ التَّعبير بـ ﴿إِلَٰهٍ﴾ دون (ربّ) في قوله تعالى: ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾، لكَوْنه الأوْفَقَ لِسياق الأمْرِ بالعبادة قَبْلَه ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أو لكَوْنهم قد أنْكروا الأُلوهيَّة، ولَم يُنْكِروا الرُّبوبيَّة. وقد جاءَتْ لَفْظة ﴿إِلَٰهٍ﴾ مُنَكّرة للتّعظيم والتّفْخيم.

بَلاغَةُ القَصْرِ:

في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ نَفَت الآية وجودَ آلِهَةٍ سِوى الله تعالى بأُسْلوب القَصْر بالاسْتِثْناء بَعد النَّفْي، حيْث قَصَرَت الآيةُ الأُلوهيَّةَ على الله وحْده، وهو قَصْرُ صِفَة على مَوْصوفٍ وهو قَصْر حقيقيٌّ.

دلالَةُ تَعَدُّدِ القِراءاتِ في: ﴿غَيْرُهُۥ﴾:

تَـوْجيـهُ قِـراءَتَي الرَّفْعِ والجَرِّ في كَلِمَةِ (غيْره)

يُقرَأ لَفْظ ﴿غَيْرُهُۥ﴾ بالرَّفع والخَفْض، والحُجَّة لِمَن قَرَأَهُ بالرَّفْع: أنّه جَعَله حرفَ استِثناء، فأعْربه بما يُعْرَب به الاسْمُ بَعد (إلّا) كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويَجوز الرَّفع في ﴿غَيْرُهُۥ﴾ على الوصْف من محلّ لفظ ﴿إِلَٰهٍ﴾ قَبْل دخول ﴿مِّنْ﴾ عليه وهو الرفع على الابتداء كقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾. والحُجَّةُ لِمَن خَفَضَ: أنّه جَعَله وصْفًا للفظ ﴿إِلَٰهٍ﴾، ولَم يَجْعله استِثناءً[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/350.
(2) المراديّ، الجنى الداني، ص: 317.
(3) ابن خالويه، الحجّة في القراءات السّبع، ص: 157.

أُسلوب القُرآنِ في عَرْضِ أُصولِ دَعْوةِ شُعَيْبٍ عليه السلام:

إضلاحُ الاعْتِقادِ والـنَّـهْـيُ عَـنِ الظُّلْمِ والفسادِ أُسُـسٌ قـامَـتْ عَـلَـيْـهـا دَعْـوةُ شُعَيْبٍ عليه السلام

قامتْ دعْوة شُعَيْب عليه السلام على الإصلاح، وركَّزت على جُملة أُمورٍ أجْمَلَتْها هذه الآيَةُ في ثلاثة، هي:

الأوَّل: إصلاح الاعتقاد، وهو من إصلاحِ العُقول والفِكَرِ، وفيه بَدْءٌ بالأمْرِ بالتَّوْحيد؛ لأنّه أصْلُ الإصلاح. ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾.

الثّاني: النَّهْي عن ظُلْم النّاس من خلال أمْر كان فيهم فاشيًا ولذا خصَّهُ بالنَّهْي، وهو تَطْفيف الكَيْل والميزانِ، وهو شَيْءٌ من صلاح العَمَل. ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ﴾ .

الثّالث: النَّهْي عن عُموم الإفساد في الأرض وقد أصلَحَها الله وهي دَعْوة عامَّةٌ إلى صلاح جميع الأعمال والتَّصرفات. ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[1].

سِرُّ بَدْءِ شعيب عليه السلام بِأمْرِ التَّوْحيدِ:

الأمْـرُ بِالتَّوْحيدِ أسـاسٌ يُـبْـنـى عَلَيْهِ فَلا يُقَدَّم عَلَيْهِ سِواهُ

قد بَدَأ عليه السلام دَعْوته لقَومه بالأمْرِ بالتّوحيد في قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾؛ لأنَّه الأساسُ الّذي يُبْنى عليه ما بَعدَه من الأوامر والنّواهي. وهو أصْلُ انْتفاء الظُّلْم والفساد في المعامَلات.

دلالَةُ الواوِ في: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ﴾:

الواو للعَطْف؛ إذ عَطَفَتْ جُملة: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ﴾ على جمْلة: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وهما جملتان إنشائيَّتان، فَحَسُنَ الوصْلُ بينهما بالواو؛ جَمْعًا للواجبات مع المَنْهيّات.

دلالَةُ النَّهْي في: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ﴾:

التَّصْريحُ بالنَّهْي نَعْيٌ عَلى المَنْهيِّ وتَعْييرٌ لَهُ

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ﴾ ركّزَت دَعْوة شُعيْب على النّهي عن تَطْفيف الكَيل والميزان، والأمْرِ بالعَدْل فيه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/136.

في كلِّ مَوْضع ذَكَرَها القرآنُ، وهو دالٌّ على فُشُوِّ هذا الخُلُقِ السَّيِّئِ فيهِم، الأمْرُ الّذي جَعَل القرآنَ يَخُصُّ ذِكْرَه في دعْوة شُعيب عليه السلام في جميع مواضِع ذِكْرِه. "وفي التّصريح بالنَّهي نَعْيٌ على المَنْهيِّ وتَعْيير له"[1].

سِرُّ البَدْءِ بِالنَّهْي قَبْلَ الأمْرِ بِالوفاءِ:

التَّخْليَةُ مُقَدَّمَةٌ عَلى التَّحْليَةِ، ودَرْءُ المَفاسِدِ مُقَدَّمٌ عَلى جَلْبِ المَصالِحِ

في سبيل دعْوة قوْم شُعيب إلى إصلاحِ قبيحِ ما ألِفوه من عادة التَّطْفيف في الكَيل والميزان، سَلَك شُعيب فيما أبانَهُ النَّصُّ الكريم سَبيلَيْن:

الأوَّل: النَّهي عن التّطفيف والنّقْص فقال: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ﴾.

والثّاني: الأمْرُ بالعَدل فيهما ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾.

والتّرْتيب بَيْنهما مؤسَّسٌ على ما تَقرّر من كَوْن التَّخْلية مُقدَّمةً على التَّحْليَة، وأنَّ دَرْء المفاسدِ مُقدَّم على جَلْب المَصالح، وأنّه لا يَقوم بِناءٌ على أساسٍ مُتهالِك، فالإزالة ثُمّ البناء.

سِرُّ تَوسُّطِ النَّهْي: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ﴾:

التَّطْفيفُ في الكَيْلِ والميزانِ أبْرَزُ صِفاتِ قَوْمِ شُعَيْبٍ عليه السلام الخَبيثَةِ

وُسِّطَ النّهْيُ عن نَقْص الكَيل والميزان، بَيْن الأمْر بإصلاح الاعتقاد: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، والنّهْي عن الإفساد في الأرض نَهْيًا عامًّا بقوله: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾؛ لكَوْن التّطْفيف في الكَيل والميزان كان أبْرَز صفاتهم الخَبيثة، وأكثرَها فُشُوًّا، ولكَوْنها طريقًا إلى الإفساد العامِّ، ولذا قال بعدَ ذلك في خاتمة الآية التّالية: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ ناهيًا نهْيًا عامًّا عن مُطلَق الإفساد في الأرض.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/195.

سِرُّ اختيارِ التّعبيرِ بالفِعْلِ ﴿وَلَا تَنقُصُواْ﴾:

في اختيار التّعبير عن النّهْي بالفِعل ﴿وَلَا تَنقُصُواْ﴾ دون غيْره، دلالة على النّهي عما هو أعلى منْهُ؛ لأنّه إذا نَهى عن كلِّ ما يُسَمّى نَقْصًا وإنْ كان قليلًا، فقد نَهى عن البَخْس والغِشِّ والتّطْفيف بكامل صوره.

النَّهْيُ عَنِ النَّقْصِ نَهْيٌ عَمّا فَوْقَهُ مِنْ بابٍ أَوْلى

سرّ التقديم والتأخير، ودلالته في سورتي: هود، والأعْراف:

بَدَأ البيانُ الإلهي بالنّهْي عن نَقْص الكَيل والميزانِ هُنا في سورة هود، فقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ﴾، في حين كان البَدء بالأمْر بإيفاء الكَيل والميزانِ في سورة الأعْراف؛ إذ قال: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الأعراف: 85]؛ لأنّ الخِطاب في سورة الأعراف كان موجّهًا لِمَن آمَن من قَومه، بدليل قوله في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: 85] وإذا كان الأمر كذلك، فليس بعد حصول الإيمان إلّا العمَل الصّالح، ومن ثَمّ وجَّه إليهم الأوامر والتكليفاتِ بالعمل بما شَرَع الله، وأمّا في سورة هود، فقد كان الخِطاب لغير المؤمنين، ومن ثَمّ فلمّا دعاهم إلى التّوْحيد نهاهم مع هذه الدّعْوة عن سيِّئِ الطِّباع، وفاسد الخِلال الّتي كانوا مُتخلِّقين بها.

الخِطابُ في سورَةِ الأعْراف كانَ موجَّهًا لِلمؤْمنينَ وفي سورَةِ هود لِلكافِرينَ

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالمِكْيالِ:

المكيال هو آلةُ الكَيل، وفي النّهْي عن النّقْص فيه هنا: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ﴾، دليل على أنّهم كانوا يَعْمدون إلى الآلَةِ نفسها لتُساعدهم على ذلك النّقْص؛ كأنْ يَقْصدوا عند البَيْع إلى مكيال صغير أو به خُروقٌ تُساعد على تَفَلُّت بعضِ المَكيل منه، ونحو ذلك من الحِيَل الّتي لا يَجْهلها أمثالُهم. أمّا في سورة الأعراف، فإنّ الخِطاب لمّا كان موجَّهًا إلى المؤمنين ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الأعراف:

المِكْيالُ (آلَةُ الكَيْلِ) أَهَمُّ وسائِلِ المُطَفِّفينَ لِلوصولِ إلى غايَتِهِمْ

85]؛ كان العَبَث بآلَةِ الكَيل غيْرَ مُتصوَّر منهم، ولذا دعاهم إلى إيفاء الكَيل، لِيُبالِغوا في الحِرْص على ألّا يَحدثَ نَقصٌ فيه عن غيْرِ قَصْد.

نُكْتَةُ الاتِّفاقِ عَلى لَفْظِ الميزانِ في دَعْوةِ شُعَيْبٍ:

لَفْظُ (الميزان) يُستَخدَمُ في الدّلالَةِ عَلى مُطْلَقِ العَدْلِ

الغاية من الاتِّفاق على تَداولِ لَفْظ الميزان في دعْوة شُعيب تَبْدو أماراتُه في كونهم يَظلِمون النّاس ويَبخَسونهم أشياءَهم كَيلًا ووزْنًا، هذا ما نصَّ عليه في دعْوة شُعيبٍ عليه السلام، ومَن يَظلم النّاس في أمَسِّ ما يَحتاجون إليه وهو الطّعام؛ فإنّه لا يُبالي فيما هو أعظم من ذلك، فيكون من باب التَّنْبيه بالأدْنى على الأعْلى، كما في قَوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: 75] فإن مَن لا يؤتَمَن على الدّينار لا يؤتَمَن على ما هو أكبر منه وهو القِنطارُ.

ولمّا كان لفْظ ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ يُصْطفىٰ في الدّلالَةِ على مُطلَق العَدْل، من حيْث إنَّ الميزان آلَةُ العَدْل. كما في قَوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25] وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: 47]؛ إذ المرادُ بالموازين هُنا العَدْل، لكَوْنه آلَتَه الَّتي تُحَقِّقُهُ[1]. فلمّا كان الأمْرُ كذلك، اتَّفقت الآياتُ على لفْظ ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ في دعْوة شُعيب عليه السلام، لمواجهة الظُّلْم المُستَشري في قومه.

سِرُّ اخْتِصاصِ النَّهْيِ بِأمْرِ الكَيْلِ والميزانِ:

فُشُوُّ المَعْصيَةِ مِنْ دَواعي تَخْصيصِها بالنَّهْي في دَعْوةِ الأنْبياءِ

السِّرُّ في اختصاص النَّهْي بالكَيل والميزان دون غيْرهما من المفاسد؛ لِفُشُوِّهما في قوْم شُعيب، كما يدلّ على ذلك تَكرار ذِكْرهما في كل مَوْضع تُذْكَر فيه دَعْوتُه عليه السلام لقومه، ولأنّ التّنْبيه عليهما تَنْبيه على ما هو أعلى منهما بِطَريق الأوْلى، كما في قَوله تعالى: ﴿فَلَا

(1) الرّاغب، المفردات: (وزن)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/187.

تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: 23]؛ لأنّ مَن يَغُشُّ النّاس في مُقَوِّمات حياتهم الضَّروريَّةِ، فإنّه لا يُبالي فيما هو أعلى قيمة مادّيَّة، وهو لا يَمَسُّ حياتَهم الضَّروريَّةَ.

دلالَةُ الواوِ في قوله تَعالى: ﴿وَٱلۡمِيزَانَۖ﴾:

الواو هُنا هي العاطِفَةُ، فقد عَطَفَت ﴿وَٱلۡمِيزَانَۖ﴾ على ﴿ٱلۡمِكۡيَالَ﴾ للنَّهْي عنهما جميعًا، ليَتَحقَّق بالنّهْي عنهما العَدْل كَمًّا وكَيْفًا "فالكَيل للعَدْل في الكَمّيَّة، والوزْن للعدْل في الكَيْفيّة"[1].

الكَيْلُ لِلعَدْلِ في الكَمّيَّةِ، والوَزْنُ لِلعَدْلِ في الكَيْفيَّةِ

دلالَةُ الفَصْلِ في: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾:

قَوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ تَعْليلٌ لِلنّهْي عن نَقْص المكْيال والميزان[2] وهو مُسوِّغُ الفَصْل.

الجُمْلَةُ تَعْليلٌ لِلنَّهْي عَنْ نَقْصِ المكْيالِ والميزانِ

دلالَةُ تَتابُعِ المؤَكِّداتِ في: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾:

دلَّتْ (إنّ) التّوْكيديَّة الدّاخِلة على ضَمير التَّكلُّم على أنّ ما سَيَرِد بَعدها من حُكْم، قد تَحقَّقَه شُعيبٌ ﷺ بنَفْسِه، لا أنّه سَمعه من غيْره، وذلكم مَظِنَّة العدالة، ودقّة الحُكْم، وأُكِّدَت الجُملة كذلك بالاسميَّة وإعادة ذِكْر المُسْند إليه الفاعل في قَوله: ﴿أَرَىٰكُم﴾، وفي تَتابُع هذه المؤَكِّدات من النَّبيِّ لِقَومه ما يَستَدْعي جَلْبَهم والتَّلَطُّفَ بهم.

مِنْ شَرائِطِ العَدْلِ التَّحَقُّقُ مِنَ الحُكْمِ

عِلَّةُ إيثارِ لَفْظِ (أرى):

التَّعبير بالرّؤية هنا دون غيرها في قوله تعالى: ﴿أَرَىٰكُم﴾، تَنزيلًا لها مَنزِلَةَ الشّهادة، وهي لا تَتَحقَّق إلّا بالرّؤية، أيْ "أنّها في مَعنى الشّهادة عليْهم بنِعْمة اللّه عليْهم فَحقّ عليهم شُكْرُها"[3].

تَنْزيلُ الرُّؤْيَةِ مَنْزِلَةَ الشَّهادَةِ

بَلاغَةُ الخِطابِ في: ﴿أَرَىٰكُم﴾:

دلّ التّعبير بالرّؤية في خِطابهم ﴿أَرَىٰكُم﴾، على أنّ كَوْنهم

كانَ غِنى قَوْمِ شُعَيْبٍ واضِحًا ظاهِرًا لِلجَميعِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/351.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/137، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 9/351.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/137.

بخَير، أيّ: بغِنى ونِعمةٍ، أمْرٌ واضِح للجميع بحيْث لا يَخْفى على أيٍّ أحَد، وليس أمْرًا مَسْتورًا كحال مَن يُخْفي ما عنده من الخَير[1].

دلالَةُ الباءِ في: ﴿بِخَيْرٍ﴾:

التَّلَبُّسُ بِالنَّعيم مَظِنَّةُ الوفاءِ

الباء في قوله: بخير لِلمُلابَسَة. أيّ: أراكم مُلْتَبِسينَ بخَير من اللّه ورِزْق تَنْعمون فيه؛ فأدُّوا شُكْرَه. اعْترافًا بالفَضْل، وتمثُّلًا لخَلَّةِ الوفاء.

سِرُّ التَّعْبيرِ بـ (خير):

شَأْنُ إسْباغِ النِّعَم أنْ تُقابَلَ بالشُّكْران لا النُّكْران

لفْظ ﴿بِخَيْرٍ﴾ هُنا مراد به المال، وخَصَّه بعضُهم بالمال الكثير طَيِّب المكان والمَصْدر[2]. وقد عبّرَ عن المال بالخَير في بعض آيات القرآن، منها التّعبير بالخَير في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: 180]، وقولِه: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: 8] فالمُراد بالخَير في الآيَتَين المالُ. وعبِّر عن المال بالخَير؛ لكَوْنه نِعمة من اللّه، ومن شأن النِّعَم أنْ تُقابَل بالشُّكْر، وهذا سِرُّ التّعبير عن المال هُنا بالخَير، لِيَسْتشعروا نعمة اللّه عليهم، فيُقابِلوها بالشُّكر، بَدَلَ النُّكران الّذي يؤَدّي إلى الخسران.

دلالَةُ الواوِ في: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾:

ارْتِقاءٌ في تَعْليلِ النَّهْيِ عَنِ النَّقْصِ في المِكْيالِ والميزانِ

الواو هُنا عاطِفَةٌ؛ إذ عَطَفَت هذه الجُمْلة على جمْلة: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ وهو ارْتقاء في تعليل[3] نَهْيهم عن النّقْص في المكيال والميزانِ، أيْ لا تفعلوا ذلك لأنّي ﴿أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ ولأنّي ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾.

دلالَةُ تَتابُعِ المؤَكِّداتِ في: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ﴾:

تَأْكيدُ خَوْفِهِ عَلَيْهِمْ إثْرَ تَأْكيدِ حَثِّهِمْ عَلى شُكْرِ النِّعْمَةِ

التّأكيد هُنا مَعْطوفٌ على التّأكيد السّابق، وفي إعادته دلالةٌ على

(1) السّامرّائيّ، على طريق التّفسير البيانيّ: 4/318.
(2) الرّاغب، المفردات: (خير).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/137.

اسْتقلاليَّته عن سابقه، ولذا لَم يَقُل: (وأخاف) وإنّما أكَّده بـ (إنّ) وبالجملة الاسميّة وبإعادة ذِكر المُسْند إليه؛ لِيظْهرَ لهم مدى خوْفِه عليهم وحِرْصه على نَجاتهم من الفقْر والنّقْص في الدّنيا ومن العذاب الشّديد في الآخرَة[1].

دلالةُ ياءِ المُتكلِّم في: ﴿وَإِنِّيٓ﴾:

تدُلّ ياء المُتكلِّم هُنا على كَوْنه ﷺ شديدَ الاهتمام بهم، كثيرَ الحِرْص عليهم والشّفقةِ بهم، بدافِعٍ من ذاته فضلًا عن كَوْنه مُرسلًا إليهم؛ لأنّهم قومُه وأنّه واحِدٌ منهم.

سِرُّ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ ﴿أَخَافُ﴾:

التَّعْبيرُ بالخَوْفِ أنْسَبُ لِأنَّ الخَشْيَةَ إنَّما تَليقُ بِالله وحْدَهُ

وآثَر التّعبير بالخوْف دون الخشْيَة في قَوله: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾؛ لأنّ التّعبير بالخشْية لا يَكون إلّا مَصْحوبًا بتعظيم المَخْشيِّ، وهذا لا يَليق إلّا بالله ﷻ، من ثَمَّ اعتادَ القرآن على إطلاقِه إذا كان الأمْرُ مُتعلِّقًا بربِّ العزَّة والجلال، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: 21] وقولِه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28].

دلالَةُ تَقْديم الجارِّ والمَجْرورِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾:

تَـقْـديـمُ الـجـارِّ والمَـجْـرورِ لِلاهْتِمام

دلّ تقديم الجارّ والمَجرورِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على قَولِه: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ على إظهار الاهتمام بهم بالخَوْف عليهم من هَوْلِ ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ بهم من كلِّ جِهَةٍ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالعَذابِ دونَ العِقابِ:

الـعَـذابُ يَـدُلُّ عَـلى إيـصـالِ الإيلامِ بِالمُعَذَّبِ

عبَّر بالعذاب دون العِقاب؛ لتأكيد وُقوع الألَم بهم، إذ ليس كلُّ ما يَكون عِقابًا يَكون عَذابًا، فالعِقاب عبارَةٌ عمّا يَسْتَحقُّهُ عَقيبَ فِعْلِه[2] فقد يُعاقَبُ المَرْءُ بعَدَم بُلوغ مراتب الكمال الّتي يطْمَحُ إليها، وليس

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/352.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 239.

في هذا عذاب، أمّا العذاب فإنّما يَكون بإيصال الألَم إلى المُعذَّب، فهو يَعني "الإيجاع الشَّديدَ"[1].

دلالَةُ التَّنْكيرِ في ﴿عَذَابَ﴾:

التَّنكيرُ لِلتَّفْخيم والتَّهْويلِ

دلّ التّنكيرُ في قولِه: ﴿عَذَابَ﴾ على تَفخيمه وتهْويلِه، فهو عذابٌ أكْبر من أنْ يُعَرّف لِما يُصاحبُه من أهْوال.

بَلاغَةُ الإجْمالِ في: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾:

الإجْمالُ سَبَبُهُ الاخْتِلافُ في تَعْيينِ المَوصوفِ

يَظْهر الإجْمال في التّعبير بوصْف ﴿مُّحِيطٍ﴾ من حيْث كَوْنُه وصْفًا لـ﴿يَوْمٍ﴾ وهو الأظْهر، أو وصْفًا لعذاب على رَأْي مَن يَرى أنَّ الجرَّ فيه للجِوارِ أو على مَعنى ﴿مُّحِيطٍ﴾ عذابُه[2] ومن هذا الإجمال تَتولَّد المعاني الكثيرة.

كما يَظْهر الإجْمال أيضًا في كَون هذا اليوم المُحيطِ يحْتَملُ أنْ يَكون في الدّنيا، أي: بعذاب الاستِئصال، ويحْتَملُ أنْ يَكون في الآخرَة، "فَلِصُلوحِيَّتِه لِلأمْرَيْن أجْمَلَه بقوله: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾"[3].

لكنّ الأرْجَح أنّه وصف لـ﴿يَوْمٍ﴾ وفي الكشّاف: "فإن قلتَ: وصْفُ العذاب بالإحاطة أبْلغُ، أمْ وصْف اليوم بها؟ قلتُ: بَل وصْفُ اليوم بها؛ لأنّ اليومَ زمانٌ يَشْتمل على الحوادث، فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمُعذَّب ما اشْتملَ عليه منه، كما إذا أحاطَ بنَعيمه"[4].

سِرُّ التَّعْبيرِ بـ: ﴿يَوْمِ مُّحِيطٍ﴾:

التَّخْويفُ والرَّدْعُ سَبَبُ إيثارِ هذا التَّعْبيرِ

عبَّر بقولِه تعالى: ﴿عَذَابَ يَوْمِ مُّحِيطٍ﴾ دون يوم القيامة؛ لأنّ وصْف الإحاطة هُنا مَقْصودٌ، لزيادة التّخويف والرّدْع، وقد لا يَدلّ التّعبير بـ (يوم القيامة) على مَعنى الإحاطةِ.

(1) الرّاغب، المفردات: (عذب).
(2) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 6/371.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/137.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/417.

بَلاغَةُ المَجازِ في: ﴿مُّحِيطٍ﴾:

إحاطَةُ العَذابِ تَجْمَعُ لِلْمُعَذَّبِ ما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ اليَوْمُ مِنَ الحَوادِثِ

في قولِه: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ محيط مَجاز عَقْليٌّ، حيْث أسْنَدَ الوصْف ﴿مُّحِيطٍ﴾ إلى ﴿يَوْمٍ﴾ أيْ: محيط العذاب في هذا اليوم، والقَرينة هي إضافة العذاب إليه[1] وقد مَضى ما في وصْفِ اليَوْم بالمُحيط من بَلاغة في كلام صاحِبِ الكَشّاف.

مُتَشابِه النَّظْم في هذا المَشْهَدِ:

بَيْن قولِه تعالى في سورَة هود: ﴿*وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ الآية، وقولِه تعالى في سورَة العَنْكبوت: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [العنكبوت: 36].

أوَّلًا: الاتِّفاقُ في التَّعْبيرِ بَيْنَ السّورَتَيْن:

اتَّفقت السّورَتان في مُسْتَهلِّ الآية؛ فكِلاهما ابْتُدِئَتا بقوله سبحانه: ﴿*وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ﴾ عَقِب قصَّة لوط ﷺ في كِلْتيْهما لِتَقارُب الزَّمَن بَيْنهما[2].

ثانيًا: الاخْتِلافُ في التَّعْبيرِ بَيْنَ السّورَتَيْن:

سِرُّ إلْحاق الفاء بـ (قال) في آية العنكبوت دون آية هود؛ إذ قال في هود: ﴿*وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾، وقال في العنكبوت: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [العنكبوت: 36].

وسَبَب إدْخال الفاء في آية العنكبوت هو أنّه لمّا كان مَقْصودُ السورَة الأمْرَ بالمَعْروف والنَّهْي عن المُنْكر من غيْر فَتْرة، عبّر بالفاء هكذا: ﴿فَقَالَ﴾ [العنكبوت: 36] أيْ فَتَسَبب عن إرسالِه وتَعَقَّبَه أنْ قال:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/137.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/350.

﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [العنكبوت: 36][1] وأمّا سورَة هود فلمّا كان مَقْصودُها الأعْظم "وصْفَ الكتابِ بالإحْكام والتّفْصيل، في حالَتَي البِشارَة والنَّذارة المُقْتَضي لِوضْع كلّ شَيْءٍ في أتَمّ مَحالِّه"[2] فقد اسْتَوْفت الآياتُ هذا المَقْصد دونَما زيادَةٍ.

وفائدة زيادة ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ﴾ [العنكبوت: 36] في سورة العنكبوت أنّه لمّا كان السّياق لإقامَةِ الأدلَّةِ على البَعْث الّذي هو من مَقاصد السّورَة قال: ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ﴾ [العنكبوت: 36] أيْ حُسْن الجَزاء فيهِ لِتَفْعلوا ما يَليقُ بذلك[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخَشْيَةُ والخَوْفُ:

الخَشْيَةُ إنَّما تَكونُ منْ عِظَم المَخْشيِّ منه، والخَوْفُ يَكونُ مِنْ ضَعْفِ الخائِفِ

لا شكَّ أنّ بَيْن الكلمتَيْن تَقارُبًا دلاليًّا فَهُما من باب واحِدٍ، ومن شدَّة التّقارُب بَيْنهما ظُنَّ أنَّ بَيْنهما تَرادُفًا، وقد فُرِّق بَيْنهما بما يَلي:

قيلَ: إنّ الخشْية أعلى من الخوْفِ وهيَ أشدُّ أحوال الخوف، فإنّها مَأخوذة من قولهم: شجرة خشَيَّةٌ، أيْ يابِسة، وهو فَوات بالكلّيَّة، والخوْف من قولهم: ناقة خَوْفاءُ، أيْ بها داءٌ، وهو نقْص وليس بِفَواتٍ، ولذلك خُصَّت الخشْيَةُ باللّه في قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: 21].

وفُرِّق بيْنهما أيضًا بأنّ الخشْية تَكون من عِظَم المُخْتَشَى، وإنْ كان الخاشي قويًّا، والخوف يَكون من ضَعْف الخائف، وإنْ كان المَخوفُ أمْرًا يَسيرًا[4].

ويدلّ لذلك أنّ الخاء والشّين والياء في تَقاليبِها تدُلّ على العظَمَة،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/436.
(2) البقاعيّ، مصاعد النّظر: 2/175.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/436.
(4) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 428.

نَحْو: شَيْخ، للسّيّد الكبير، وخيش لِما غَلظ من اللّباس ولِذا ورَدَت الخشْية غالبًا في حقِّ الله تعالى نحْو قوله تعالى: ﴿مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: 74] وقولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28].

قال السّيوطيّ: وأمّا قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ [الرعد: 21] ففيه نُكْتة لَطيفةٌ، فإنّه في وصْف الملائكة، ولمّا ذَكَر قوّتهم وشدَّةَ خَلْقِهم عبّرَ عنهم بالخوْف، لِبَيان أنّهم وإنْ كانوا غِلاظًا شِدادًا، فهُم بَيْن يَديْه تعالى ضُعفاء، ثُمّ أرْدَفه بالفَوْقيَّة الدّالَّة على العظَمَة، فجَمَع بيْن الأمْرَيْن، ولمّا كان ضَعْف البَشَرِ مَعلومًا، لَم يحْتَجْ إلى التّنْبيهِ عليه[1].

العَذابُ والعِقابُ:

كُـلُّ عِـقـابٍ عَـذابٌ، ولَيْسَ كُلُّ عَذابٍ عِقابًا

يُفرَّق بيْن العِقاب والعذاب، بأنَّ العِقاب يُنبئُ عَن اسْتِحْقاقٍ، وسُمّيَ بذلك؛ لِأن الفاعِل يسْتَحقّهُ عَقيبَ فِعْله، أمّا العذاب فيَجوز أنْ يَكون مُسْتَحقًّا وغيْر مُستَحَقّ[2].

ومَعنى هذا أنّ بيْن العِقاب والعذاب – من حيْث اللُّغَةُ – عُمومًا وخصوصًا مُطْلَقا، فكُلّ عِقاب عذابٌ، وليس كلّ عذابٍ عِقابًا.

أمّا عن عذاب الله في الآخِرَة، فلا فَرْقَ بيْنه وبيْن العِقاب؛ لأنّ الله تعالى لا يُعذِّب إلّا عن اسْتِحقاقٍ.

(1) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، 2/363.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 239.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»